

الذات بين التقدير والاحترام عند جون رولز.(J.Rawls)

الأستاذ: تقيات علي

جامعة محمد خيضر - بسكرة

ملخص الدراسة باللغة العربية

تناولت الدراسة موضوع الذات بين التقدير والاحترام عند جون رولز ، وبينت أن أساس احترام الذات في المجتمع العادل هو التوزيع المؤكد علناً للحقوق الأساسية والحريات، وأن احترام الذات عند رولز هو الأكثر قيمة في الخيارات الأولية الاجتماعية وذلك لأنها سمة تتميز بالمركزية والأساسية في الكائنات البشرية. وقد قسمت الدراسة إلى ثلاث مباحث، مبحث تمهيدى تناول العلاقة بين مفهوم وتقدير الذات، وذلك من خلال ثلاث مطالب مفهوم الذات وخصائصها ، وتقدير الذات، وأنواع تقدير الذات (تقدير الذات المرتفع، وتقدير الذات المنخفض) ، وفي المبحث الأول تناولت الدراسة بيان قيمة الشخص عند جون رولز. والمبحث الثانى بعنوان احترام الذات عند جون رولز ، وقد تناولته من خلال مطلبين، ففي المطلب الأول تناولت طبيعة احترام الذات عند رولز ، وفي المطلب الثانى بينت أسس احترام الذات عند رولز والمساهمة في تحديد المبادئ التي تنظم البنية الأساسية للمجتمع.

English Summary of the Study :

Self Esteem and respect for John Rawls

This study dealt with the theme of the self-esteem and respect according to **John Rawls**, and showed that the basis of self-respect in a fair society is the publicly certain distribution of fundamental rights and freedoms; and that the self-esteem for Rawls is the most valuable in social initial good works, because it is a feature that is characterized by centralization and fundamentality at human beings. The study was divided into three sections; a preliminary section that addresses the relationship between the concept of self-respect and appreciation, through three demands: self-concept and characteristics, self-appreciation, and the types of self-appreciation (high self-appreciation, and low self-high). In the first section, the study demonstrated the value of the person for John Rawls; as well as the person's value for Immanuel Kant.

The second section titled: self-respect for John Rawls that was addressed through three sections. In the first section, the nature of self-respect for John Rawls was addressed. The second section showed the basics of self-respect for Rawls and contribution in determining the principles governing the infra-structure of society.

مقدمة :

أخذت الذات (The Self) مكانة بارزة في نظريات الشخصية وتعددت الآراء واختلفت التيارات التي تناولت فكرة الذات. والشعور بالذات وتقديرها أمر طبيعي في الإنسان، ولولاه لما تبين أحد وجود نفسه الذاتي الذي يتصف به عمن سواه من أفراد نوعه، وقد يشتد هذا الشعور بالذات فيبدو في شكل زائد من الثقة بالنفس، أو قد يضعف فيبدو في مشاعر النقص والإحساس بعدم الكفاءة (عبد الحافظ : ١٩٨٢م، ١). وقد اهتم علماء النفس بالبحث في مدلولها وماهيتها، وقد أوضحوا أن مفهوم الذات تكوين فرضي معقد يتميز بأكثر من بعد، وكانت لهم في تحديد مفهومها ومدلولها أبحاث متعددة أدت إلى وجود مدارس متعددة، حاولت كل منها أن تصبغ هذا المفهوم في إطار الفلسفة التي تتبناها ونوع البحوث التي أجرتها (قطب : 1998م، 205).

وقد أقرت تلك المدارس أن هناك أكثر من ذات، وأن لكل منها نشأتها وتطورها، والوسط الذي يعيش فيه الإنسان مسئول عن نمو هذه الذات المتعددة الأبعاد، أو المتعددة الخصائص والصفات، وقد ركزت تلك المدارس على أهمية الذات في تكوين شخصية الفرد ونموها نموًا سويًا، فقد رأى "فرويد" أن بناء الشخصية بناء سليم لا يتحقق إلا إذا حدث نوع من التوازن بين رغبات الـ "هو" (ID) ومطالب الـ "أنا" (Ego) ونمو الـ "أنا الأعلى" Super Ego¹.

ويؤكد رولز على أن احترام الذات هو الأكثر قيمة في الخيارات الأولية الاجتماعية وذلك لأنها سمة تتميز بالمركزية والأساسية في الكائنات البشرية. ويعتقد أن "أساس احترام الذات في المجتمع العادل هو التوزيع المؤكد علناً للحقوق الأساسية والحريات". ويقوم "رولز" بمحاكاة "كنت" في مناقشته لاحترام الذات. من وجهة نظر "رولز" احترام الذات هو الأكثر قيمة في الخيارات الأولية الاجتماعية وهو إذا كان مشروطاً بالتوزيع المتساوي للحقوق، لن يخاطر أحد بوجوده في موضع يُحرم فيه من الحريات. (J. Rawls, 1971, P. 544).

¹ توصف مكونات الشخصية عند فرويد بالديناميكية وإذا كانت هذه الديناميكية تسير في طريق مستقر وتتفاعل بطريقه سويه أدت إلى وجود إنسان مستقر، في حين تتضارب مكونات الشخصية وتتصارع يؤدي ذلك إلى الاضطراب النفسي، وعلى الفرد أن يشبع قدرًا كافيًا من رغباته دون أن يشعر بالإحباط، وعليه أن يفعل ذلك دون أن يصاب بالضرر وبطريقة تسمح له بالشعور بأنه شخص مقبول، وقد لا يكون هذا الأمر السهل. وبمدي نجاح الفرد في تحقيق هذا التوازن ينمو لديه مفهوم الذات Self Concept ، أي صورة عن نفسه يحيا ويرضاها. وعندئذ يتكون لديه تقدير موجب لذاته Self Esteem بدرجة مرتفعة.

توضح هذه الدراسة الذات بين التقدير والاحترام عند جونرولز ، وستقدم الدراسة إضافة للبعد الثقافي فيما يتعلق بالعلاقة بين تقدير الذات والاحترام ، وسوف تقدم الإرشادات والتوجيه حول الاهتمام بتقدير الذات التي تمنح البيئة النفسية السليمة، ودورها في التأثير على تقدير الذات إما بالسلب أو بالإيجاب، فمن خلال استعراض الذات بين التقدير والاحترام عند رولز تسهم بصورة إيجابية في بناء ذات إيجابية، وذلك من خلال استعراض طبيعة احترام الذات عند رولز والذي يرى "أن احترام الذات ينطوي على الثقة في قدرات المرء، بقدر ما في وسع المرء من قوة، لتحقيق نواياه" (Ibid , P. 178). وتنقسم الدراسة إلى مبحثين:

المبحث الأول: قيمة الشخص عند جون رولز

المبحث الثاني: احترام الذات عند جونرولز

المبحث الأول: قيمة الشخص عند جون رولز

القيمة: يطلق لفظ القيمة من الناحية الموضوعية على ما يتميز به الشيء من صفات تجعله مستحقا للتقدير كثيرا أو قليلا. فإن كان مستحقا للتقدير بذاته كالحق، والخير والجمال، كانت قيمته مطلقة، وإن كان مستحقا للتقدير من أجل غرض، كانت قيمته إضافية. أو بمعنى آخر نسبية. ولما كان الشخص أكثر قيمة من الأشياء وسائر الكائنات الحية الأخرى، فإن للفلسفات المختلفة تصورا لمبدأ قيمة الشخص الذي هو السبب في وجوده واستمراره كشخص. فعلى أي مبدأ تقوم قيمة الشخص ؟

في الفكر الفلسفي يتحدد الشخص باعتباره بما هو ذات عاقلة تنسب له مسؤولية أفعاله الصادرة عنه، كما أنه يأخذ قيمة خاصة عندما ينظر إليه كذات واعية وحررة ومسئولة ذات كرامة وقيمة ، نعني ذاتها وقيمتها الأخلاقية ، فالشخص ذات مفكرة ، عاقلة ، واعية قوامها الأنا كيفما كانت طبيعة وأسس بنائه وتكوينه (التفكير/ العقل / الشعور / الذاكرة ...) . تستوجب الاحترام والمعاملة بوصفها غاية لا مجرد وسيلة لتحقيق حاجات ومنافع ، كما أن قيمته لا تتحدد في مجال الوجود الفردي بل في انفتاحه على الآخرين في إطار أشكال من التضامن الإنساني القائم على التعاون والالتزام بالمبادئ الأخلاقية والحقوقية أمام قوة الإكراهات والضغطات التي تواجهه .

الشخص : إن كلمة الشخص في الاصطلاح الغربي، مشتقة كلمة persona اللاتينية التي تفيد القناع، الذي كان الممثلون يضعونه على وجوههم على خشبة المسرح. وقد شكل مفهوم الشخص مفهوما معقدا استأثر باهتمام الخطابات الفلسفية المختلفة ويتجلى طابعه الإشكالي في بعض المفارقات التي ينطوي عليها التفكير في ما إذا كان بالإمكان الاقتراب من تحديد مفهوم الشخص، من خلال الأدوار الاجتماعية، التي يضطلع بها

الناس خلال حياتهم. وما إذا كان الناس أحراراً في توجيه حياتهم وفق إرادتهم.. إن التفكير في حقيقة الشخص، ليس من الأمور التي يمكن استصغارها، لأنها تحتاج في الواقع إلى تأمل فكري عميق.

غايات النظام الاجتماعي في فلسفة جون رولز مشتقة من تصوره للشخص. وكذلك يمثل مفهوم الشخص المستقل من الناحية العقلية الأساس النظري الذي اشتقت منه مقولة المصالح الأكثر سمواً. والمقصود بالمصالح الأكثر سمواً تلك المصالح التي لا يمكن تحقيقها إلا من خلال تنظيم المجتمع بطريقة تمكن من تفعيل وتنمية الملكتين الأخلاقيتين اللتين تؤهلان المواطنين لأن يصبحوا أحراراً ومتساوين، قادرين على التعاون فيما بينهم على مدى الحياة، وهاتان الملكتان هما: الإحساس بالعدالة، من جهة، والقدرة على تشكيل تصور للخير وتحقيقه، من جهة أخرى.

إن مفهوم الأشخاص له أهمية خاصة كمفهوم معقول وعقلاني وبالتالي كمفهوم حر ومتساو وهو أساس وحدات المصلحة والمسئولية. وتتطلب فكرة "كنت" عن الاستقلالية ألا يتواجد ترتيب أخلاقي يسبق ويستقل عن تلك المفاهيم لتحديد صيغة الإجراءات التي تحدد محتوى المبادئ الأولى للحق والعدالة بين الأشخاص الأحرار المتساوين (Rawls, John. [1989] 1999, P. 512). وقد استخلص "رولز" من فكر الاستقلالية لـ "كانط" وجهة النظر أن محتوى المبادئ الأولى للحق هي أننا أشخاص أحرار ومتساوين. وبالتالي، فإنه بناء على مفهوم الأفراد كعقلانيين ومن ثم كأحرار ومتساوين قام "رولز" باستنتاج أن الحق له أولوية عن الخير.

وقد برر "رولز" ادعاءاته المتعلقة بأولوية الحق على الخير في نظرية العدالة الخاصة به وارتكز في ذلك على فكرة "كانط" حول الاستقلالية. وأيد "رولز" أن المبادئ الأخلاقية التي هي أهداف الاختيار العقلاني تحدد القانون الأخلاقي الذي يخول العوامل العقلانية أن تحكم سلوكهم الخاص بهم في رابطة أخلاقية. وفي تفسيره لاستقلالية "كنت"، أكد "رولز" على أن "الفرد يعمل بشكل مستقل عندما يتم اختيار مبادئ فعله من خلاله كأفضل تعبير ملائم ممكن لطبيعته ككائن حر متساو وعقل" (Rawls, A Theory of Justice . 1971, P. 253).

وعليه، فإن "رولز" قد عرف الأوامر القطعية لـ "كانط" مع مبدأيه للعدالة على أنها مبادئ للسلوك، وهما يطبقان على الأشخاص وفقاً لطبيعتهم ككائنات حرة ومتساوية وعاقلة. ووفقاً لـ "رولز"، فإن "العمل من منطلق مبادئ العدالة هو العمل من الأوامر القاطعة بحيث يتم تطبيقهم علينا أيًا كانت أهدافنا" (Ibid, p. 253).

وبمعرفة أن قيمة الذات واحترامها تنفرد عن مطالبه المتنوعة سواء كانت أهداف أو رغبات، فإنه يمكننا أن نستخلص أن حقوق الشخص التي تحمي كرامته كشخص لها الأولوية عما يرغب به أو ينشده. ووفقاً لمذهب "كنت"، فإن "رولز" قد عكس العلاقة بين فكرة الحق وفكرة الخير التي أخطأت في فهمها المذاهب الغائية. ووفقاً لـ "رولز"، فإن "الذات لها الأولوية عن الغايات التي يتم تأكيدها من خلالها، وحتى الغاية

السائدة يتعين اختيارها من بين العديد من الاحتمالات، ويتعين علينا عكس العلاقة بين الحق والخير التي تعرضها المذاهب الغائية وإيضاح أن الحق له الأولوية" (Ibid,p.650). ومن خلال العامل العقلي المستقل لـ كانط، فإنه يتعين أن يكون الأولوية "للذاتية" للقيمة الفريدة لما ينشده الفرد ويهدف إليه على غاياتها. وقد منحت أولوية الذات على غاياتها المشتقة من مفهوم "كانط" للاستقلالية "رولز" جدلاً واضحاً وقوياً في ادعائه بأن الحق قبل الخير.

وبناء على ذلك ، يتبين أن مفهوم الشخص يثير إشكاليات فلسفية متداخلة، ولا يمكن أن نعتبر المواقف المثارة قطعية ونهائية. لأن واقع الفلسفة في ديناميكية وتجدد تبعاً لتغير طبيعة العصر، وتنامي المعرفة البشرية. علاوة على أن حقيقة الفرد لا يمكن أن تعالج دون تحديد نوعية علاقته بالغير، ودون إثارة القضايا الإبيستيمولوجية التيؤلا تطرحها العلوم الإنسانية، على اعتبار أن هذه العلوم تحاول أن تخضع الإنسان للدراسة العلمية الموضوعية ... ومهما يكن من أمر يجب أن ندرك أن محاولة التفكير في حقيقة الشخص هو محاولة للتفكير في حقيقة الذات .

سوف نتناول في هذا السياق قيمة الشخص عند جون رولز، وإيمانويل كانط، وذلك على النحو التالي :

المطلب الأول : جون رولز وقيمة الشخص.

المطلب الأول جون رولز وقيمة الشخص

وعن قيمة الشخص عند جون رولز ففي سياق عرض نظريته للعدالة كإنصاف، يرى جون رولز (1921). (2002) أن قيمة الشخص تتأسس على كفاءاته العقلية والأخلاقية، والمشاركة في الحياة الاجتماعية والتعاون مع الآخرين أفرادا كانوا أو جماعات وهيئات؛ من منطلق أن المجتمع نظام للتعاون المنصف؛ فلا يمكن الحديث عن قيمة الشخص إلا إذا تبين بأنه كائن مفكر وكائن أخلاقي يحب العدل والخير والالتزام والمسؤولية.

يبدو أن رولز يرى الشخص أن هو مواطن حر وعضو فعال داخل المجتمع. ومن هنا فقيمه مرتبطة بامتلاكه لكفاءات عقلية وأخلاقية تمكنه من التعاون مع الآخرين والمساهمة، بهذا القدر أو ذاك، في التنمية العامة للمجتمع، في إطار من المسؤولية والالتزام والسعي الدؤوب نحو تحقيق ما هو خير وعادل وله قيمة إيجابية في الحياة الإنسانية.

تصور جون رولز :

شكل كتاب جون رولز "نظرية في العدالة" مثار جدل واسع في الأوساط الفكرية والسياسية، حيث تقوم فلسفته على تصور مثالي للفلسفة السياسية في المجتمع الليبرالي. فهو يعمل على ردم الهوة بين الحرية واللامساواة، كمحاولة للحد من تناقضات النظام السياسي الليبرالي. وذلك باعتماد مبدأي التوحيد والتفريق:

- كل الناس أحرار (الحرية) ولهم الحق في النسق الموسع للحريات الأساسية بالتساوي (المساواة).

- من الطبيعي أن تنتج عن هذا النسق الموسع للحريات فوارق اجتماعية واقتصادية هائلة بين الناس (اللامساواة). شريطة أن تنظم هذه اللامساواة على أن تكون في مصلحة الأكثر حرمانا، أي ضحايا النظام الرأسمالي. وأن تنبع من مبدأ تكافؤ الفرص في الوظائف والتعويضات.

إن رولز يناقش قيمة الشخص في إطار فلسفته التي تقوم على العدالة كإنصاف. وتجعل متنافسين فيما بينهم على قاعدة الندية والمساواة. كما تجعلهم مترابطين على قاعدة التعاون الاجتماعي. إن هذا التصور الاجتماعي والقانوني للشخص يجعل منه قيمة، ككائن ممارس للعدالة المنصفة وللخير بمعناه الأوسع، أي كل ما يمثل قيمة إنسانية سامية. وعلى ذلك تقوم نظرية العدالة عند رولز على فكرة مفادها أن الإنسان كائن اجتماعي بطبعه، قادر على المشاركة في الحياة الاجتماعية ولعب دور معين فيها. فقيمة الشخص تكمن في كونه مواطنا، وجميع الأشخاص هم مواطنون أحرارا وأندادا، بفضل كفاءاتهم العقلية والأخلاقية.

وفي هذا الإطار، ينتقد رولز في كتابه (نظرية في العدالة) تصور النفعيين الذين لا يهتمون بالحريات الأصلية للأفراد، ويؤكد أن هذه الحريات لا يمكن بيعها وشرائها، ولا يمكن التضحية بها إذا تعارضت مع النفع العام. وهنا لابد للنظام الاجتماعي مراعاة الحقوق العامة للأفراد، ويذكر منها حق التعبير وحق العمل وحق الاجتماع وحق الملكية وحق الحماية من الاعتقال والسجن التعسفيين.

ومن جهة أخرى، يؤكد رولز أن العدالة الاجتماعية تقتضي توزيع الخيرات على جميع المواطنين بشكل عادل، على أساس أن جميع هذه الخيرات ملك لجميع الأفراد، وجميع الأفراد ساهموا في حصول هذه الخيرات. هكذا تعتبر الخيرات كلها غير موروثة، فهي مكتسبة وقابلة للتداول، ذلك أن المجتمع العادل يضمن لكل من ينتمي إليه حريات مدنية لا يمكن المساس بها، وتضمن له أن يبلغ ما يشاء من الدرجات (الأشول : 1988 م ، 113).

تنظر الفلسفة السياسية مع جون رولز إلى الشخص كمواطن بالدرجة الأولى، ومن دور المواطن يستمد وجوده كشخص. بل إن الشخص استحق بطبيعته صفة المواطن، وليست المواطنة غير ما يقتضيه الأشخاص باعتبارهم أحرارا ومتساوين ومشاركين في الحياة الاجتماعية. أن تكون للشخص مثل هذه القيمة معناه أن العدالة كإنصاف ترتبط بفكرة المجتمع كنظام للتعاون المنصف. لقد تعلمنا من الاغريق معنى للشخص

ككائن له القدرة على المشاركة في الحياة الاجتماعية التي يلعب فيها دوره ويمارس الحقوق ويحترم الواجبات، هكذا نقول إن الشخص مواطن، لكن نهجنا للتقليد الديمقراطي، دفعنا لاعتبار الحرية والمساواة في الشخص كعضو نشيط في المجتمع طوال حياته. ونقول طوال الحياة لأننا ندرك المجتمع كنظام للتعاون متكامل ومكتف بذاته، يعطي المجال لجميع ضروريات وأنشطة الحياة منذ الميلاد حتى الممات. إن المجتمع ليس جمعية بأهداف محدودة، والمواطنون لا يرتبطون به طوعية متى أرادوا بل منذ ولادتهم، وفي نظر رولز لا بد وأن يقضوا فيه حياتهم (العدالة و الديمقراطية). إن قيمة الشخص عند رولز قائمة على الحرية والمساواة ضمن نظام التعاون المنصف، الذي يفرض في الأشخاص توفرهم على حس العدالة وتصور للخير خارج نظام السلطة.

وعن فلسفة جون رولز وتصوره للشخص، فهي تكشف، عن منظومته القيمية التي يحتل فيها التعاون، الذي يندرج ضمن المصالح الأكثر سموا، مكانة الصدارة مقارنة مع المصالح الفيزيولوجية والمادية؛ هذا من جهة، وتكشف من جهة أخرى، عن تصوره للعلاقة بين الفرد والنظام الاجتماعي: إنها علاقة تفاعل متبادل بين المكونات الذاتية للشخص والهيكل البيداتي للنظام الاجتماعي. ومن مظاهر هذه العلاقة أنه عندما ينظر المواطنون إلى أنفسهم على أنهم أحرار متساوون يدركون أنه من مصلحتهم أن يتم تنظيم المجتمع الذي يعيشون فيه على النحو الذي يمكن من تنمية القدرات الأخلاقية لكل فرد والارتقاء به إلى مستوى الشخص المؤهل للتعاون مع الأشخاص الآخرين على مدى الحياة. هنا وعلى وجه التحديد تكمن المصلحة العليا للمواطنين بوصفهم أشخاصا يتمتعون بالاستقلال العقلي.

وليس الاستقلال العقلي في نظر رولز سوى مظهر من مظاهر الحرية الفردية، وهذا ما يجعله مختلفا عن "الاستقلال التام" بالمعنى السياسي للعبارة. ولابد من التذكير في هذا السياق بأن مفهوم "الاستقلال العقلي" في فلسفة رولز لا يحيل على كائنات واقعية أو تاريخية، وإنما هو جزء من إجراءات العقل النظري أو عنصر من عناصر التجربة النظرية التي ترمي إلى إعادة بناء المجتمع وتنظيمه على أسس معقولة. ومن ثمة، فإن مفهوم الشخص المستقل إنما يشير في دلالته الأصلية عند رولز إلى كائنات مفترضة تم خلقها من أجل تفعيل الوضعية الأصلية. ومما يدل على ذلك قوله، في معرض حديثه عن الاستقلال العقلي، إنه "اصطناعي وليس سياسيا"، لارتباطه بوضعية مفترضة يكون فيها المتعاقدون غير خاضعين لأية سلطة خارجية، وعلى مسافة من المذاهب الدينية والفلسفية والأخلاقية الموجودة في محيطهم الثقافي. ويتحدث رولز عن كفتين أخلاقيتين يجب أن يتميز بهما الشخص كعضو داخل المجتمع، وهما:

أ - قدرته على تملك حس للعدالة .

ب - امتلاكه لتصور معين للخير.

هكذا فتوفر الشخص على حس للعدالة يمكنه من احترام القواعد والقوانين العمومية، أثناء إنجازهِ لمختلف الأفعال التي يهدف من ورائها إلى التعاون مع أفراد المجتمع في إطار من الندية والإنصاف. أما امتلاك الشخص لتصور معين للخير، فيعني تمثله لمجموعة من الغايات التي يسعى إلى تحقيقها، والتي تكتسي قيمة أساسية في حياته الإنسانية سواء في إطار العلاقات الموجودة بين الأشخاص أو تلك القائمة بين مختلف المنظمات والجماعات البشرية.

وبناء على ما تقدم نخلص إلى أن : جون رولز يسعى إلى تقديم تصور للشخص ولقيمته ينسجم ونظريته في العدالة كإنصاف، وهي عدالة ترتكز على فكرة التعاون القائم بين الأفراد داخل المجتمع من جهة، وعلى إعطاء كل فرد من الامتيازات والحظوة بقدر عطاءاته ومؤهلته من جهة أخرى، ثم يحيلنا إلى السياق التاريخي لدى اليونان قديماً، لكي يؤكد على الفكرة التي مفادها أن الشخص يلعب دوراً مهماً في المجتمع من خلال اطلاعه بوظيفة اجتماعية ذات تأثير إيجابي في التنمية الاجتماعية والاقتصادية، وكل ذلك يتم في إطار التمتع بحقوقه المشروعة والتزامه بواجباته تجاه مجتمعه. من هنا يمكن القول مع رولز بأن قيمة الشخص تكمن في انفتاحه على الآخرين، وفي مشاركته الفعالة والنشيطة داخل المجتمع. بعد ذلك يذكر رولز أنه يتحدث عن الشخص في سياق الفكر الديمقراطي، وهو ما يحتم النظر إلى الأشخاص ككائنات حرة وتتمتع بالمساواة في الحقوق والواجبات. وقد ربط رولز بين حرية الشخص وكفاءاته الأخلاقية والعقلية، ذلك أن هذه الكفاءات هي التي تجعله كائناً حراً وعضواً فعالاً في المجتمع.

احترام الذات عند جون رولز

يؤكد رولز على أن احترام الذات هو الأكثر قيمة في الخيارات الأولية الاجتماعية وذلك لأنها سمة تتميز بالمركزية والأساسية في الكائنات البشرية. ويعتقد أن "أساس احترام الذات في المجتمع العادل هو التوزيع المؤكد علناً للحقوق الأساسية والحريات". وقد قام "رولز" بمحاكاة "كانط" في مناقشته لاحترام الذات. من وجهة نظر "رولز" احترام الذات هو الأكثر قيمة في الخيارات الأولية الاجتماعية وهو إذا كان مشروطاً بالتوزيع المتساوي للحقوق، لن يخاطر أحد بوجوده في موضع يُحرم فيه من الحريات. (J.Rawls, A Theory of Justice, 1971, p.544).

بالنسبة إلى "رولز"، يدور النطاق الرئيسي للعدالة حول توزيع الخيارات، وحيث الخيارات تعني بمعناها الشامل معظم ما يطمح الشخص العقلاني للحصول عليه. وهو يتحدث عن الخيارات الأساسية الاجتماعية الأولية ويقوم بتعريفها على أنها الأشياء التي من المفترض أن يرغب فيها كل شخص عقلاني. وهي الحرية والفرصة والدخل والثروة وأسس احترام الذات. يتم توزيع جميع هذه القيم الاجتماعية بالتساوي. ومع ذلك، فإن التوزيع غير العادل لبعض هذه القيم يبرره مبدأ الفرق فقط إذا كان في صالح الجميع وخصوصاً الأفراد

الأقل حظًا في المجتمع. ومن ضمن هذه الخيارات الاجتماعية الأساسية، يؤكد "رولز" أن الخيارات الأساسية لها مكان مركزي. لماذا أشار "رولز" إلى احترام الذات من بين الخيارات الأساسية الاجتماعية الأخرى، قد يبدو تعليم "كنت" بشأن الاستقلال أنه يمنح "رولز" أسس للتأكيد على أن قيمة احترام الذات بالنسبة للمنافع الأساسية الاجتماعية الأخرى، غير قابلة للمقارنة.

سوف تنقسم دراستنا لهذا المبحث إلى مطلبين، على النحو التالي:

المطلب الأول: طبيعة احترام الذات عند رولز.

المطلب الثاني: أسس احترام الذات عند رولز.

المطلب الأول: طبيعة احترام الذات عند رولز

إن مصطلح "المرجع" والذي يدل على "احترام الذات" يعني أن كرامة الإنسان ككائن عقلائي يقوم بالتشريع الذاتي غير مشروطة وقيمتها غير قابلة للمقارنة. إن برهان "كنت" المنطقي لجوهر الكرامة الإنسانية يتمثل في أن ذلك الذي يحدد قيمة كل شيء آخر يجب بالضرورة أن يكون فائق القيمة. إن قدرة الكائن العقلاني على خلق أهداف نابذة من اهتمامه هي ما يجعلها أكثر قيمة من تلك الأهداف التي يخلقها هو. وبالنسبة إلى "كنت"، إن قيمة التصرف الأخلاقي التي لا تقارن أكبر من أي شيء في الطبيعة حيث الإرادة الطيبة فقط كمصدر للتصرف الأخلاقي قيمتها مطلقة. إن الأساس للقيمة التي لا تقارن للتصرف الأخلاقي هي استقلالية الإرادة العقلانية في صياغة القوانين. وبناء على ذلك، فاستقلال الإرادة العقلانية بالتالي هي أساس كرامة الإنسان التي لا تقارن.

وقد استند "رولز" إلى برهان "كانط" المنطقي عن الاستقلال حينما أكد أن من بين الخيارات الأولية الاجتماعية يحتل شعور المرء بقيمة نفسه المركز الأول من حيث الأهمية. وبالنسبة إلى "رولز"، فإن احترام الذات "يتضمن إحساس الشخص بقيمة نفسه، وبأن قناعاته الثابتة بأن تصوره للخير وخطته التي رسمها للحياة تستحق التنفيذ وهي تنطوي على ثقة في قدرات المرء بقدر ما تكون في قوة المرء لتحقيق نواياه" (Rawls, A Theory of Justice, 1971, p.440). ووفقًا لرولز، يصبح المرء واثقًا في قيمته فقط إذا تم استيعاب قدراته وترتيبها بأساليب من التعقيد المناسب والتنقيح". وبالتالي يمكن للممثلين في الموقف الأصلي تبادي الظروف الاجتماعية التي تقوض احترام الذات بقدر الإمكان (Ibid, p 440).

وفقًا لذلك، يستنتج "رولز" أن الأشخاص في الموقف الأصلي سيختارون منح الخيارات الأولية لاحترام الذات الأولية على الخيارات الأولية الاجتماعية الأخرى حيث أن قيمتها لا تقارن.

المطلب الثاني: أسس احترام الذات عند رولز

تمثل اتفاقية التعاون الاجتماعي المنصف التي يُفترض أن يتم التوصل إليها في الوضعية الأصلية وفي المجتمع الليبرالي الديمقراطي جزءًا من إستراتيجية شمولية ترمي إلى إعادة بناء النظام الاجتماعي على أسس تمكن من تحقيق المصالح الأكثر سموا للمواطنين باعتبارهم أشخاصًا يتمتعون بالاستقلال العقلي. تركز هذه الفكرة على مصادرة أساسية مفادها أن مبدأ الاستقلال العقلي هو الذي يحدد غايات المجتمع وطبيعة المصالح الأكثر سموا. وتجدر الإشارة هنا إلى أن غايات النظام الاجتماعي في فلسفة رولز مشتقة من تصوره للشخص. وكذلك يمثل مفهوم الشخص المستقل من الناحية العقلية الأساس النظري الذي اشتقت منه مقولة المصالح الأكثر سموا. والمقصود بالمصالح الأكثر سموا تلك المصالح التي لا يمكن تحقيقها إلا من خلال تنظيم المجتمع بطريقة تمكن من تفعيل وتنمية الملكتين الأخلاقيتين اللتين تؤهلان المواطنين لأن يصبحوا أحرارًا متساوين، قادرين على التعاون فيما بينهم على مدى الحياة، وهاتان الملكتان هما: الإحساس بالعدالة، من جهة، والقدرة على تشكيل تصور للخير وتحقيقه، من جهة أخرى.

* أسس الاحترام والتقدير عند جون رولز والمساهمة في تحديد المبادئ التي تنظم البنية الأساسية للمجتمع:

يعتبر مفهوم "المجتمع المنظم بشكل جيد" أحد المفاهيم الأساسية في النظرية السياسية لـ رولز. يدل هذا المفهوم على النظام الاجتماعي المنظم وفقا للتصور السياسي للعدالة، وهو النظام الذي تحكمه مؤسسات تخضع في سيرها لقواعد يعترف بها جميع المواطنين ويعملون بها في الحقل العمومي. ولا يتحقق هذا النظام في صورته المثلى إلا إذا توافرت الأسس التالية:

ضرورة أن يقبل كل فرد تصورا معيناً للعدالة ومبادئها، وأن يكون على علم بأن الأفراد الآخرين يقبلونها مثلما يقبلها هو؛

ضرورة أن تستجيب بنية المجتمع الأساسية أو المؤسسات الأساسية التي يتألف منها النظام الاجتماعي لهذه المبادئ، وأن يكون هناك ما يبرر بشكل معقول اعتقاد الناس بأن هذه المؤسسات تحقق لهم العدالة بالفعل؛

ضرورة أن يكون التصور العمومي للعدالة مبنيًا على أساس الاعتقاد المعقول بأنه تصور منبثق عن مناهج البحث المعترف بها؛

ضرورة أن ينظر الأفراد إلى أنفسهم على أنهم متساوون في الحرية ولهم نفس الشخصية الأخلاقية التي تبعث فيهم الإحساس بالعدالة في بعدها السياسي بالخصوص؛

ضرورة أن يكون للأفراد تصور للخير، يجعلون منه هدفهم الأساسي، ويتيح لهم إمكانية المطالبة بحقوقهم المشروعة في إطار مؤسساتهم؛

ضرورة أن يكون لهم الحق، وأن ينظروا إلى أنفسهم على أن لهم الحق، في نيل ما يستحقونه من الاحترام والتقدير من خلال تمكينهم من المساهمة في تحديد المبادئ التي تنظم البنية الأساسية للمجتمع؛

ضرورة أن تشغل المؤسسات الأساسية بطريقة تولد الإحساس بالعدالة في نفوس الناس من أجل إرساء دعائم الاستقرار في المجتمع.

المجتمع المنظم بشكل جيد هو ذلك النظام الاجتماعي الذي بلغ درجة كافية من الاكتفاء الذاتي؛ وهو المجتمع الذي تتوافر فيه شروط التعاون المنصف بين المواطنين المعقولين والعقلانيين الذين يعتبرون أنفسهم أحرارًا متساوين، لهم تصور مشترك للعدالة، ويعترفون جميعًا بمبادئها الأساسية، ويعلم كل واحد منهم بأن الآخرين يعترفون مثله بتلك المبادئ.

- الأساس الاجتماعي لاحترام الذات عند رولز: من أجل دعم تصور رولز نستطيع

أن نتخيل الشكل العام للائحة الحريات الأساسية²، فهناك غياب لحريات من لائحة الحريات الأساسية مثل حرية الحصول على بعض أشكال التملك، مثل وسائل الإنتاج وحرية التعاقد مثلما هو الحال في مذهب "دعه يعمل"، لأن هذه ليست من الحريات الأساسية، ولذلك لا تكون محمية بالمبدأ الأول. وحسب المبدأ

لائحة الحريات الأساسية والتي من بينها أكثر أهمية هي الحريات السياسية مثل حق التصويت، واشتغال منصب عمومي، حرية التعبير،² والتجمع وحرية التفكير والوعي، وحرية الشخص التي تضم الحماية من الضغط السيكولوجي ومن التعذيب الجسدي، والحماية ضد التوقيف والاعتقال التعسفيين، وحق الملكية الشخصية ... الخ هذه الحريات ينبغي أن يتساوى فيها الجميع تبعًا للمبدأ الأول. وهذا يعني أن المساس بالحريات الأساسية التي يحميها المبدأ الأول لا يمكن تبريره أبدًا، ولا يمكن تعويضه بالامتيازات الاقتصادية والاجتماعية للعدد ينطبق هذان المبدأان على الأكبر. فهذه الحريات لا يمكن أن توضع موضع سؤال إلا إذا كانت في نزاع مع الحريات الأساسية الأخرى الواجبات والحقوق، ويحددان توزيع الامتيازات الاقتصادية والاجتماعية. ففي منظور نظرية العدالة يتم تقسيم البنية الاجتماعية إلى جزأين متميزين تقريبا، حيث يحيل المبدأ الأول على الثاني والثاني على الأول منطقيا. وهكذا يتم التمييز بين مظاهر النسق الاجتماعي التي تضمن المساواة في الحريات الأساسية بالنسبة إلى كل واحد والمظاهر التي تقيم أشكال التفاوت الاجتماعية والاقتصادية.

الثاني، ينبغي لتوزيع الموارد والثروات ومواقع السلطة والمسؤولية أن يتلاءم مع الحريات الأساسية ومع المساواة في الحظوظ . وهنا يمكن القول : إنه من الممكن توزيع جميع القيم الاجتماعية مثل الحرية والإمكانات الممنوحة للأفراد وكذا الثروة والموارد والأساس الاجتماعي لاحترام الذات بالتساوي أيضا ، أو على الأقل أن لا يكون التوزيع اللا متكافئ لهذه القيم، في مصلحة البعض دون البعض الآخر. وعلى هذا يرى رولز أن الظلم، هو بكل بساطة، يأتي من التفاوت الذي لا يستفيد منه الجميع. لكن هذا الأمر يحتاج إلى تفسير. لنفترض وجود تنظيم اجتماعي فيه تتوزع الاختيارات الاجتماعية الرئيسية مثل الحريات، والحقوق، واحترام الفرد، وحفظ الصحة، والعقل.... الخ، بكيفية متساوية بحيث يكون لكل واحد حقوق وواجبات متشابهة وفي نفس الوقت يكون توزيع الثروات بشكل غير متكافئ. يشكل هذا الافتراض نقطة مرجعية لتقويم التحسينات التي ستحدث: فإذا كانت العلاقات اللامتكافئة في الثروة وفي السلطة تساهم في تحسين وضعية كل واحد بالمقارنة مع الوضعية المفترضة؛ فإن هذا التفاوت يكون متوافقا مع التصور العام للعدالة، وإذا لم يساهم في تحسين أوضاع الأقل حظا في المجتمع فليس بموافق لتصور العدالة. ولنفترض أن هناك أفرادا يبدون رغبتهم في أن يتخلوا عن بعض الحقوق السياسية في سبيل أرباح اقتصادية، فالنتيجة هي أن هذا الافتراض لا يندرج ضمن العدالة ومبدأيها. إنهما مبدأان يحولان دون استبدال الحريات الأساسية بالأرباح السوسيو-اقتصادية وهما مرتبان بحسب النظام القاموسي. وعلى هذا يرى رولز ضرورة الانتباه إلى الشروط التي تحدد ما هو نسبي وما هو مطلق في الأهمية المعقولة للامتيازات الاجتماعية والاقتصادية. إن التمييز بين الحقوق والحريات الأساسية من جهة والامتيازات الاجتماعية والاقتصادية من جهة أخرى، يكشف عن الاختلاف بين الخيارات الاجتماعية الأولى داخل النسق الاجتماعي، وعن المشاكل التي تعترض أولوية الحرية في نظرية العدالة كإنصاف، فإن رولز يرى أن هذه الأولوية مبالغ فيها، لأنه من الممكن أن تعطى الأولوية مثلا للجوع وسوء التغذية ... الخ، بحيث تكون أكثر أهمية من انتهاك حرية شخصية. طبعا يرى أن للحرية أولوية ما، ولكنها ليست مطلقة إذا ما قورنت بعدد من الآليات المتعلقة بضرورة التوازن بين قوى متعاكسة حيث يتم السماح بإعطاء امتياز جزئي لانشغال ما على آخر. (فكرة العدالة ، ص 96).

النتائج

توصلت تلك الدراسة إلى أن قيمة الشخص عند جون رولز تتأسس على كفاءاته العقلية والأخلاقية، والمشاركة في الحياة الاجتماعية والتعاون مع الآخرين ، وقد أكد رولز على أن احترام الذات هو الأكثر قيمة في الخيارات الأولية الاجتماعية وذلك لأنها سمة تتميز بالمركزية والأساسية في الكائنات البشرية. ويعتقد أن " أساس احترام الذات في المجتمع العادل هو التوزيع المؤكد علنا للحقوق الأساسية والحريات". كما توصلت

تلك الدراسة إلى أن جون رولز يرى "أن احترام الذات ينطوي على الثقة في قدرات المرء، بقدر ما في وسع المرء من قوة، لتحقيق نواياه". وجون رولز يرى أن "الذات لها الأولوية عن الغايات التي يتم تأكيدها من خلالها ، وحتى الغاية السائدة يتعين اختيارها من بين العديد من الاحتمالات، ويتعين علينا عكس العلاقة بين الحق والخير التي تعرضها المذاهب الغائية وإيضاح أن الحق له الأولوية". وأن غايات النظام الاجتماعي في فلسفة جون رولز مشتقة من تصوره للشخص المستقل من الناحية العقلية بطريقة تمكن من تفعيل وتنمية الملكتين الأخلاقيتين اللتين تؤهلان المواطنين لأن يصبحوا أحراراً متساوين، قادرين على التعاون فيما بينهم على مدى الحياة، وهاتان الملكتان هما: الإحساس بالعدالة، من جهة، والقدرة على تشكيل تصور للخير وتحقيقه، من جهة أخرى.

وأن جون رولز استنتج أن الحق له أولوية عن الخير، وأكد "رولز" أن المبادئ الأخلاقية التي هي أهداف الاختيار العقلاني تحدد القانون الأخلاقي الذي يخول العوامل العقلانية أن تحكم سلوكهم الخاص بهم في رابطة أخلاقية. وأن على "الفرد يعمل بشكل مستقل عندما يتم اختيار مبادئ فعله من خلاله كأفضل تعبير ملائم ممكن لطبيعته ككائن حر متساوٍ وعادل"، فإن "العمل من منطلق مبادئ العدالة هو العمل من الأوامر القاطعة بحيث يتم تطبيقهم علينا أيًا كانت أهدافنا".

وأن جون رولز يرى الشخص هو مواطن حر وعضو فعال داخل المجتمع. ومن هنا فقيمه مرتبطة بامتلاكه لكفاءات عقلية وأخلاقية تمكنه من التعاون مع الآخرين والمساهمة، بهذا القدر أو ذاك، في التنمية العامة للمجتمع، في إطار من المسؤولية والالتزام والسعي الدؤوب نحو تحقيق ما هو خير وعادل وله قيمة إيجابية في الحياة الإنسانية.

*المراجع العربية :

- الأشول ، عادل عز الدين (١٩٨٨ م) سيكولوجية الشخصية ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية.
- الأنصاري ، سامية لطفي (١٩٨٩م) . تقدير الذات وعلاقته باتجاهات التنشئة الاجتماعية لدى الأطفال المحرومين من الرعاية الأسرية . الاسكندرية ، دار المطبوعات الجديدة ، مجلة التربية المعاصرة ، العدد الثاني عشر ، مارس.
- الخالدي ، جاجان جمعة ، قياس مستوى شعور المعلمين والمعلمات بالأمن النفسي وعلاقته ببعض المتغيرات، جامعة بغداد – كلية التربية ابن رشد 1990 رسالة ماجستير غير منشورة.
- العميرة ، أحمد عبد الكريم (١٩٩١ م) . فاعلية برنامج للتدريب على المهارات الاجتماعية في خفض السلوك العدواني لدى طلبة الصفوف الابتدائية، رسالة ماجستير غير منشورة، الأردن، كلية الدراسات العليا، قسم العلوم التربوية.

- الضيدان ، الحميدي محمد ضيدان : تقدير الذات وعلاقته بالسلوك العدواني لدى طلبة المرحلة المتوسطة بمدينة الرياض ، رسالة ماجستير ، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية ، الرياض ، 1424 هـ / 2004 م .
- القلق لسيجموند فرويد (1962) ، ترجمة د.محمد نجاتي، القاهرة ، مكتبة دار النهضة العربية.
- أسس ميتافيزيقا الأخلاق للفيلسوف إمانويل كانط، ترجمة فكتور دلبوس، سنة 1969 .
- جوزيان د سانت بول، تقدير الذات، الثقة في النفس ، باريس، 1999.
- رمضان، رشيدة عبد الرؤوف (2000 م). آفاق معاصرة في الصحة النفسية للأبناء، القاهرة : دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع.
- زهران ، حامد عبد السلام ، "علم النفس الاجتماعي"، القاهرة: عالم الكتب ، 2003 / 1424 ، ط6
- سليمان ، عبد الرحمن سيد (1992 م) ، بناء مقياس تقدير الذات لطلبة المرحلة الابتدائية، مجلة علم النفس ، الهيئة المصرية العامة للكتاب العدد الرابع والعشرون . السنة السادسة.
- شعيب ، علي محمود (1988 م) . نمذجة العلاقة السببية بين تقدير الذات والقلق والتحصيل الدراسي لدى المراهقين من المجتمع السعودي ، جامعة الكويت ، مجلة العلوم الإحصائية ، المجلد السادس عشر ، العدد الثاني.
- عبد الحافظ ، ليلى عبد الحميد (1982 م). مقياس تقدير الذات للصغار والكبار، القاهرة : دار النهضة.
- قطب، رشيدة عبد الرؤوف رمضان (1998 م). آفاق معاصرة في الصحة النفسية للأبناء، القاهرة ، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع.
- كامل، عبد الوهاب (1993 م) . المكونات العملية لتقدير الذات . بحوث في علم النفس ، القاهرة : مكتبة النهضة المصرية.
- كفاقي، علاء الدين (1989 م) . تقدير الذات في علاقته بالتنشئة الوالدية والأمن النفسي . دراسة في عملية تقدير الذات . جامعة الكويت ، مجلس النشر العلمي الكويتي ، مجلة العلوم الاجتماعية ، المجلد التاسع ، العدد الخامس والثلاثون.
- مالمبي ، رانجيت سينج وريزنر، روبرت ديليو: تعزيز تقدير الذات ، الرياض : مكتبة جرير، 2006
- ترجمة / محمد هاشمي، جون رولز، نظرية العدالة كنصف بين السياسة والميتافيزيقا، عدد 10، 2004 .

* المراجع الأجنبية :

- Arthur Schopenhauer, Le monde comme volonté et comme representation -
(آرثر شوبنهاور، العالم بوصفه إرادة وتمثلاً، ترجمة بورديو، م.ج.ف، 1966.3).
- Elson, Diane. 1993. "Gender-aware Analysis and Development Economics" in Journal of International Development 5:2. University of Manchester, Institute for Development Policy and Management. Manchester.
- Kant , Emmanuel . (1785) 1964 . Groundwork of the Metaphysic of Morals .Trans . H.J. Paton. New York : Harper & Publishers
- Nielsen , Kai . 1985. Equality and Liberty . New Jersey : Rowman & Allandheld Publishers, P. 50.
- Rawls, A Theory of Justice . Massachusetts : Harvard University Press, 1971.

-Rawls: "la théorie de la justice comme équité: une théorie politique et non pas métaphysique" in **justice et démocratie** seuil 1993.

-Rawls, John. [1989] 1999. « Themes in Kant's Moral Philosophy » In ;**Collected Papers**, ed. Samuel Freeman. Massachuetts : Harvard University Press, p.512.

-Taylor: multiculturalisme: difference et démocratie, Aubier 1994 p 83.

-Patho 108 . com : L estime de soi , 2005 , P 10

<http://www.patho108.com/dossiers/Dossier%20estime%20de%20soi-1.pdf>